حرب الفاشيين ضد الأرمن واضحة الأهداف

المعارك التي جرت مؤخرا بين عصابات الجبهة الانعزالية من جهة والارمن من جهة اخرى ، والتي بلغت حدا من العنف والتصاعد ، تستوجب الوقوف عندها وأعطاء نبذة تاريخية عن الاسباب الكامنة وراءها .

ولا بد هنا من دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه الارمن وعلاقاتهم مع كافة الاطراف اللبنانية انطلاقا من دراسة مواقفهم ابان حرب السنوات الاربع المنصرمة.

من المعروف ان الارمن جاءوا الى لبنان مع من جاء من مواطنيهم الذين نزحوا الى سوريا وفلسطين على اثر المجازر التي ارتكبت بحقهم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . والتي كان أولها ابان حكم السلطان العثماني عبدالحميد الملقب بالسلطان الاحمر لكثرة ما سفك من دماء في عهده أي في عام ١٨٩٥ - ١٨٩٦ والثانية ابان حكم جمعية « تركيا الفتاة » عام ١٩١٥ اما الثالثة فقد حصلت عام ١٩٢١ على يد الاتاتورك مصطفى كمال الذي ارتكب اشنع المجازر بحق الارمن في منطقة سيليسيا (صغلية) بعد انسحاب الفرنسيين منها والذين كانوا قد احتلوها عام ١٩١٩ .

والناجون من هذه المجازر انجهوا جنوبا واستقروا في سوريا (منطقة حلب وجوارها) وفلسطين (مدينة القدس ، نحو ما يزيد عن ١٠ آلاف أرمني) والقسم الاكبر استقر في لبنان وتحديدا في مناطق برج حمود والنبعة والدورة وحي المدور ويبلغ عددهم الاجمالي نحو ما يزيد عن ٢٥٠ الف نسمة يحملون الجنسية اللبنانية واصبحوا بعد اكثر من خمسين عاما ممثلين على الصعيد الرسمي بخمسة نواب (اول نائب ارمني دخل البرلمان كان عام ١٩٣٤) . وعلى الصعيد الداخلي باربعة احزاب هي حزب الطاشناق (وهو حزب يميني كانت له علاقات جيدة مع الكتائب اللبنانية ابان حرب السنوات الاربع ، ويقال انهم اشتركوا معهم في عدة معارك حصلت في تلك المناطق) وحزب الهانشاق اليساري ، وحزب رمغافار وهو حزب عقائدي يدعو الى بعث النهضة الحضارية والثقافية للارمن ، والحزب الرابع هو جيش التحرير الشعبي السري الارمني الى جانب وجود عدد منهم في صفوف الحزب الشيوعي اللبناني (استطاع بعضهم تبوؤ مراكز قيادية مثل ارتين مادوبيان وهو عضو مكتب سياسي) اضافة الى انتشارهم في معظم انحاء اوروبا خاصة فرنسا ووجود جمهورية تحمل اسمهم في الاتحاد السوفياتي وعاصمتها يريفان .

استطاع الارمن وعلى مدى ما يربو عن خمسين عاما من تكوين وضع اقتصادي خاص بهم وشغل العديد من المناصب العامة في الدولة اللبنانية . و٧٠٪ من المواطنين الارمن يتعاطون الاشغال الحرفية (صناعة احذية ، جزادين ، أحزمة ، خراطة قطع الغيار ، شبك الفضة والذهب في أشكال مختلفة .. الخ) والبقية الباقية تمثل شريحة من المثقفين والتقنيين والاطباء والمهندسين . هذه الخصوصية الاقتصادية والتصنيف الاجتماعي الى جانب حميتهم واحساسهم الشديد بانتمائهم الطائفي والتأثير الفعال الذي خلفه تاريخهم الدامي ، جعل الارمن يقفون على الحياد طيلة فترة الاحداث الاخيرة التي حصلت في لبنان ، فظروف انتاجهم وماهيته وطبيعة هذا الانتاج ومصلحتهم المتمثلة (كما سبق وذكرنا في العدد السابق) باستمرارية ارتباطهم بالسوق الاقتصادية الموحدة التي تؤمن تصريف منتجاتهم ليس الى كافة المناطق اللبنانية فحسب بل ايضا الى بعض البلدان العربية المجاورة .

والذي أثار حفيظة قادة الاحزاب الفاشية وازعجها هو بقاء الارمن مع ما يشكلون من قوة مادية وبشرية على الحياد في الحرب الاهلية اللبنانية ودفعهم الى التلميح تارة والتصريح تارة أخرى بان الارمن ليسوا لبنانيين افحاحا .. وبانهم شكلوا فئة مستقلة لها كيانها الخاص ولم يشتركوا في دفع « ضريبة الدم دفاعا عن مسيحيي لبنان » ، علما ان الارمن دافعوا عن انفسهم معتبرين انهم استطاعوا وبحكم مواقفهم انذاك من تامين استمرارية تدفق المواد الغذائية الى المنطقة الشرقية .

ولكن لا بد من العودة قليلا الى الوراء ، الى وبعد احداث السنتين التي لم يشاركوا فيها بدأت القيادات الانعزالية حملة تهويل مصحوبة بتهديدات عسكرية ارهابية لاجبار الارمن على المشاركة في استكمال مخطط السيطرة الفاشية على تل لبنان ووجهت في تلك الاثناء انذارا الى القيادة الارمنية بوجوب دفع ضريبة مالية مقدارها ٣٠ مليون ليرة « بدل القتال دفاعا عن لبنان والطوائف المسيحية » فرفضت الاذعان لهذا الطلب ، مما دفع القادات الفاشية الى الحاق انذارها بمجموعة اعمال ارهابية تمثلت في اغتيال بعض المواطنين الارمن ونسف عدد من المنازل والمتاجر التابعة لهم ، فطلبت القيادة الارمنية بدفع المبلغ تجنبا لاية مضاعفات ممكن ان تحصل ، الى جانب ذلك بقيت اجهزة الجبابة الانعزالية تقبض ضريبة شهرية من السكان الارمن بنسب متفاوتة تبعا لاوضاع العائلة ومقدرة كل متجر ومؤسسة . وقبل ثلاثة اشهر انفجرت الحرب الفاشية ضد الارمن تلبية لغرض سياستها على الداخل الانعزالي وبشكل عنيف جدا نتيجة للاستفزازات والتحرشات المكررة التي قامت بها أجهزة الاحزاب الانعزالية ، اذ اقدمت على اقتحام مكاتب عسكرية داخل الاحياء الارمنية مما أدى الى وقوع خسائر مادية وبشرية وجرى يومها نسف تمثال شهداء الارمن في انطلياس والعديد من المؤسسات الاجتماعية والتربوية التابعة لهم .

ظلت هذه الاوضاع المتوترة سائدة في هذه الاحياء الى ان انفجرت في الفترة الاخيرة وبشكل عنيف وفاشي أدى الى سقوط ما يزيد عن ٥٠ قتيلا من الجانبين اضافة الى عشرات الجرحى واحراق متاجر ومحلات عديدة . غير أنه ومن البديهي القول بان المعركة الاخيرة لم تعط النتائج المرجوة من جهة الفاشيين اضافة الى اعتبارها خاسرة من جهة عدد القتلى والاليات التي انفقت من قبلهم . والتي أجبرتهم على القبول بالهدنة المؤقتة التي حصلت وانشاء اللجان المشتركة وسير الدوريات .. الخ ، غير ان قيادة بشير الجميل وكميل شمعون والتي كانت وراء هذه المعارك الدامية لن تكتفي بالذي حصل وهذا شيء طبيعي اذ ان أهدافها « الاسرائيجية » التي كانت الدافع الى اشعال هذه المعارك تتمثل باخضاع الارمن للقرار السياسي الانعزالي وبالتالي مشاركتهم بصورة كاملة في تنفيذ مؤامرة القضاء على الوجود الوطني اللبناني الفلسطيني عبر الانتساب الى أحزاب الجبهة الانعزالية ، أو تهجيرهم الى خارج مناطق « الغيتو » من أجل اسكان « المهجرين » الموارنة الذين سيتوافدون لاحقا الى تلك المناطق ..؟!

ان حرب الاباده الانعزالية ضد الارمن لم تكن الاولى ولن تكون الاخيرة ، وهي ليست حربا خاصة او جزئية وانما حربا متواصلة لن تتوقف الا بعد تحقيق أهدافها الفاشية .

ان الموقف الوطني المبدئي يتمثل بتقديم الدعم التام للارمن والوقوف الى جانب حقهم ، حق الاقليات القومية بالمواطنية المتكاملة ومساعدتهم في المحافظة على خصوصياتهم التراثية مؤكدين ان الحل الاستراتيجي لوضعهم وبالتالي لاوضاع الجماهير الشعبية الكادحة في لبنان يتمثل باقتلاع المخطط الصهيوني - الانعزالي واسقاط النظام اللبناني عبر مقاومة شعبية مسلحة تأخذ على عاتقها تحقيق هذا الامر .

■

لم تكن مجزرة ايلول التي حصدت خيرة الشباب من الشعبين الاردني والفلسطيني على يد الطغمة الملكية العميلة وادواتها القمعية مقطوعة الجذور عن النهج الذي انتسمت به — على مدى تاريخها — قيادة الملك حسين لاعتبارات تاريخية وسياسية معروفة

في ذكرى مجازر ايلول

النظام الاردني ولد على يد الامبريالية وجسد مصالحها ومخططاتها

ونتيجة للظروف الموضوعية التي احاطت بمولدها على أيدي الامبريالية البريطانية ، عجزت المملكة الاردنية عن طرح شعار الحرب من أجل تحرير فلسطين ، وكانت شعاراتها القاصرة عن الحرب انعكاسا للتضالات الجماهيرية الشعبية ، هذه الجماهير التي بدأ وعيها بتجذر وتبلور وتماسك ، كاشفة حجم التناقضات الداخلية التي كانت تعصف بعموم بلدان الوطن العربي المفككة الاوصال المحكومة من قبل الطبقات العميلة للامبريالية ، التي ازاحت بستور الستار عن وجهها القبيح بتثبيت ركائز السيطرة الاستعمارية عبر معاهدة ١٩٤٦ المعقودة مع الاستعمار البريطاني ، والاتفاق العسكري عام ١٩٤٨ مع الامبريالية الامريكية ، كي تعمق بالتالي ارتباطاتها الاقتصادية والسياسية بشكل مباشر معها .

والنظام الاردني ، بشكل خاص ، كان ملفوما بسلسلة من التناقضات الحادة ، سيما بعد وقوع نكبة عام ١٩٤٨ ، وانهيار الصفقة بزفاف جزء من فلسطين (الضفة الغربية) الى امارة شرقي الاردن . لقد كانت فترة حكم عبدالله بداية لتاسيس ادوات القمع الباطشة (الجيش والبوليس) ، التي اخذت معالمها تتضح بتجسيدها كمؤسسة قمع بالغة الوحشية ، وكان مقتل عبدالله عام ١٩٥١ تعبيرا عن وعي ونشاط الجماهير الاردنية - الفلسطينية وتحريضا عمليا عبر عن ارادة هذه الجماهير ضد رمز هو الخيانة الوطنية تجسد نظاما . لقد ادركت الجماهير الثورية ان بقاء هذا النظام هو الضمانة الاولى والمستمرة لبقاء كيان اسرائيل ودعومة واستمرار المصالح الامبريالية . فقد جسد عبدالله مصالح الاستعمار البريطاني ليس فقط ضمن حدوده ، بل أيضا على مستوى المشرق العربي عموما .

لملء الفراغ الحاصل بعد مقتل عبدالله ، تربع طلال على سدة الحكم ، الذي أراد بدوره أن يجسد المصالح الامريكية ، مما فسح المجال لتغلغل النفوذ الامريكي على نحو بات يشكل خطرا جديا على المصالح البريطانية . لقد استطاع خلال فترة حكمه القصيرة أن يوجه الضربات الى الحركة الجماهيرية الشعبية ، وعلى الاخص الى أشد القوى ثورية ، صادر الحريات النسبية المحدودة التي انتزعتها الجماهير الشعبية خلال مسيرتها النضالية التي تجسدت في أعقاب صدور الدستور الذي يضمن حق البرلمان في الاشراف على الحكومة .

ان هذا الوضع الذي آلت اليه الحال كان وحده كفيلا بدفع الاستعمار البريطاني وعلى طراز مؤامرات القصور من تنحية طلال عن العرش والاتيان بالملك حسين .

لقد جسد الملك حسين مصالح ومخططات الاستعمار البريطاني ، الذي دفعه الى اتخاذ اجراءات من شأنها ان تحد من نشاط الحركة الجماهيرية الشعبية ◀